الفصل السادس

أوضـــاع الأقليات الإســـلاميـــة فـــى منطقة شمال القفقاس وبلاد ما وراء النهر

قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السادس

أوضاع الأقليات الإسلامية فى منطقة شمال القفقاس وبلاد ما وراء النهر قبل وبعد أحداث ١١ سبتمبر (٢٠٠١م)

أولا: أوضاع المسلمين في جمهورية الشيشان قبل وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)

الشعب الشيشانى شعب صغير العدد؛ محدود الإمكانيات وهو يقف أمام قوة غاشمة هي قوة روسيا الاتحادية بكل ما ورثته هذه الدولة من الاتحاد السوفيتى القديم من سلاح وعتاد حربي كبير، وهى جزيرة صغيرة وسط بحر إمبراطورية الشر الواسعة ؛ أما مسمى إمبراطورية الشر فهو اللقب الذي أطلقته أمريكا على روسيا أيام الشيوعية إلا أنهم ما يزالون يحتفظون باللقب رغم زوالها من الوجود [١] .

وجمهورية الشيشان هي إحدى جمهوريات الحكم الذاتي التابعة لروسيا الاتحادية والتي وفق الدستور الروسي يحظر عليها أن تعلن استقلالها دون موافقة روسيا، وقد رضخ الشيشانيون لهذه النصوص القانونية الروسية من بداية القرن العشرين، ولكن في ظل التغيرات التي خلفها القرن العشرون وإطلالة القرن الحادي والعشرين لم يعد هذا القانون صالحا لما بعد الحرب الباردة، فبعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، تغيرت الأوضاع السياسية في منطقة آسيا الوسطى وبلاد ما وراء القفقاس، وإصابة الاتحاد بالتفسخ ومطالبة القوميات - التي كانت تشكل مع روسيا منظومة الاتحاد السوفيتي القديم - بالانفصال لتصبح دولاً مستقلة وأخرى دولاً خاضعة للاتحاد الروسي وتطالب بالانفصال هي الأخرى .

والشيشان تعد من أوليات دول المنطقة إعلاناً للاستقلال عن روسيا، وذلك قبل الانهيار الفعلي للاتحاد السوفيتي واستقلال الجمهوريات الإسلامية والتي عرفت بـ (الكومنولث) ، لذلك عندما أعلن "جوهر دوداييف" الزعيم الشيشانى الراحل استقلال بلاده عن الاتحاد الروسي، قامت القوات الروسية بتجهيز الجيوش وتنظيم القوات، واقتحمت العاصمة الشيشانية (جروزنى) وسطرت بحديدها وطائراتها

وصواريخها صفحة سوداء من المآسي الإنسانية التي ظهرت مع إشراقات القرن الحادي والعشرين ومن هذا المنطلق تتعدد التساؤلات:

لماذا كانت حرب الشيشان ؟ وما هو موقف المجتمع الإسلامي منها، خاصة أنهم يشكلون أغلبية مسلمة ؟ وما هو موقف المنظمات الدولية من التعدي على أراضي الغير وحقوق الإنسان في الشيشان ؟ وإجمالاً لماذا رفضت روسيا استقلال الشيشان عن الاتحاد الروسي مقابل السماح لدول البلطيق الثلاث بالاستقلال والانفصال ؟ وما هو وضع المسلمين في الشيشان بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة؛ وموقف البيت الأبيض من الحركات الجهادية التي تقاوم التدخل الروسي في الأراضي الشيشانية هل تغير بعد هذه الأحداث ؟

الشيشان : الموقع والأهمية :

تقع الجمهورية الشيشانية في الجزء الجنوبي الشرقي من منطقة القفقاس الشمالي وتشترك حدودها مع كل من مقاطعة ستافروبل (روسيا) شمالاً وجمهورية داغستان شرقاً وجمهورية أوسيتيا الشمالية غرباً، ومع جمهورية جورجيا جنوباً، وتبلغ مساحتها (١٩,٣ كم) وعاصمتها جروزني، وأشهر مدنها فهي غودرميس، فيدينو[٢]، أما أهميتها فترجع إلى وجود النفط والغاز الطبيعي، وكذلك مواد البناء مثل الجير والأسمنت، والحصى ، حيث تستخرج بكميات كبيرة من المناطق الجبلية، بجانب العديد من ينابيع المياه المعدنية التي تجعلها من أجمل بقاع العالم.

وتتكون الشيشان من (١٢) مقاطعة و(٤) مدن رئيسية، وتقع على السفوح الشمالية لجبال القفقاس، ويمثل المسلمون أغلبية السكان البالغ مليوني نسمة [٣] مقابل (٢٥٠) ألف روسي يمثلون الأقلية داخل الأراضي الشيشانية، ويأخذ الشيشانيون بالمذهب الشافعي، نظراً للتزايد الملحوظ للحركات الصوفية منذ دخول الإسلام هناك مثل النقشبندية والقادرية، حيث لعبت هذه الجماعات دورا ونفوذاً كبيراً في القفقاس على المستويين الدعوة للإسلام؛ ومقاومة عمليات الغزو الروسي والمغولي والشيوعي الذي تعرضت له الشيشان على مدار تاريخها الطويل.

أما اللغة الشيشانية فهي تنتمي إلى المجموعة الفانياخية، وهي إحدى اللغات القفقاسية التي تضم بين مفرداتها الكثير من الكلمات الدخيلة عليها من لغات عديدة مثل : (العربية،

والفارسية، والجورجية، والتركية) وأساس الكتابة الشيشانية الحديثة هي الحروف الروسية، وحتى أواسط العشرينيات كانت تكتب اللغة الشيشانية بالشكل العربي، والذي تم استبداله في الفترة من (١٩٢٨-١٩٣٨م) إلى الحرف اللاتيني ثم إلى الكيريلية الروسية ، كما يأخذ الصراع في الشيشان عدة أشكال وحلقات، أهمها :

الصراع الروسي – الشيشانى فى القفقاس:

تعرضت جمهورية الشيشان وغيرها من شعوب وجمهوريات شمال القفقاس لسلسلة طويلة من الحروب سواء أكان ذلك في ظل الحكم القيصري أم أثناء الحكم الشيوعي لآسيا الوسطى أم حتى بعد سقوط الشيوعية وتفكك الاتحاد السوفيتي السابق .

وعداوة الروس للإسلام والمسلمين قديمة؛ ولها جذور ممتدة منذ الحروب التي كانت مع التتر؛ الذين كانوا يأخذون الجزية من الروس في إمارة موسكو منذ ألف عام وفقا لمفاهيم ذلك العصر الذي لم يعد له وجود الآن بيد أن ذروة هذا الصراع كان بين الروس وبين الخلافة العثمانية والتي كانوا يعتبرونها المنافس الأكبر لهم في أوربا وكانوا يعتقدون أن العثمانيين هم الذين يحولون بينهم وبين المياه الدافئة على الخليج.

وقد بدأت روسيا حملاتها ضد الشيشانيين منذ نهاية القرن الـ (١٨) وجرى أول اشتباك مسلح بين القوات الروسية والشيشانية عام (١٧٣٢م) واستطاعت المقاومة الشيشانية آنذاك إيقاع هزيمة فادحة للروس على يد : " الشيخ منصور " إلا أنه وفى عام (١٧٨٥م) عزمت الحكومة القيصرية على ضم الأراضي الشيشانية عنوة، ولاقت روسيا القيصرية إبان زحفها على القفقاس مقاومة عنيفة من قبل الشيشانيين [٤] .

وقد تمخضت السياسة الاستعمارية الروسية وقتها عن محاصرة شعوب شمال القفقاس في الجبال، وسلبهم المراعى، والمناطق الزراعية التى كانوا يملكونها ، في الوقت ذاته فرضت عليهم بالإكراه قواعد جديدة للنظام السياسي والإداري في المنطقة، وقضت على الأحكام والمؤسسات الاجتماعية التي تشكلت على مدى قرون لدى هذه الشعوب، مما دفع لظهور حركات المقاومة الشعبية مثل المقاومة التي قادها " الإمام شامل "والتي استمرت أكثر من خمسة وعشرين عاما.

وبعد أن شعرت روسيا بضعف المقاومة قامت باقتحام الشيشان بـ (٢٠٠) ألف جندي روسي، و لم يستطع " الإمام شامل " مقاومتهم بعد نفاد أسلحته من ناحية

وتخلى أتباعه عن المقاومة ومحاصرة حركة المقاومة الشيشانية من ناحية أخرى- التي تعرضت للجوع والعطش ووفاة العشرات من أفرادها- فقاموا بالاستسلام وفي نيتهم العودة للمقاومة مرة أخرى، بل إنهم اعتبروا أن الاستسلام هدنة لن تستمر طويلا ، وفي عام (١٨٠١م) انضمت جورجيا إلى روسيا في الحرب على الشيشان، باعتبارها الطريق الوحيد الموصل بين البلدين (روسيا وجورجيا) حيث يوجد خط حديدي يمر عبر الأراضي الشيشانية إلى هناك.

وبالتالي كان حرص روسيا على احتلال الشيشان أو الإبقاء عليها تحت سيطرة الاتحاد الروسي يكمن في تأمين مصالحها في جورجيا،حيث اتخذت القوات الروسية من مدينة (جروزني) العاصمة الشيشانية حالياً، قلعة للقضاء على المجاهدين الشيشانيين عام (١٨١٨م) ، واستطاعت أن تحقق بعض الانتصارات والتفوق العسكري، إلا أنه وفي عام (١٨٣٠م) ، وبظهور أحد المتصوفين وصفته روسيا بأنه داغستاني عنيد استطاع أن يلملم أوراق الماضي ويجمع عناصر الحركة من جديد وكان يدعى : " غازي محمد" الذي تربى الشيخ شامل على يده ،دعا غازي محمد إلى حرب مقدسة ضد (الكفار) الروس، وفي الوقت نفسه أعلن أنه زعيم روحي لمسلمي داغستان والشيشان ؛ ولما أحست روسيا بخطورته سعت إلى اغتياله وتحقق لها ما كانت تسعى إليه عام (١٨٣٢م) .

وخلف غازي محمد في مقاومة الروس الإمام شامل الذي أعلن استقلال داغستان عن الإمبراطورية الروسية (١٨٣٤م) ؛ وحاولت القيادة الروسية تدبير مؤامرة لاغتياله مثلما فعلت مع غازي محمد ولكن فشلت في كل مرة ولم تتمكن منه روسيا إلا بعد أن أعلن استسلامه وبعد أن أنهكه المرض ولم يعد يملك أية أدوات للمقاومة ؛ وقامت القوات الروسية بوضع (الإمام شامل) الذي كبد القوات الروسية خسائر فادحة، في أحد السجون واستغلت ذلك وفرضت الضرائب على كل السكان دون تمييز وسلبت الأراضي الزراعية من الشيشانيين، وتم توزيعها من جديد على الروس ، بل وأجبر الروس الفلاحين الشيشان على العمل في مقاطعاتهم وأراضيهم دون أجر [٥] .

واستبدلت الجهاز الإداري الشيشانى بآخر روسى ،وفتحت باب الهجرة والاستيطان من كل الأراضي الروسية إلى الأراضي الشيشانية؛ في محاولة منها لتصفية الإسلام من هذة البقعة التي تمثل للروس موقعا إستراتيجيا لا يمكن الاستغناء عنه.

الصراع الشيشانى الشيوعي:

بعد مرحلة الصراع الروسي – الشيشانى التي تمخضت عن ظهور حركات المقاومة الشيشانية والتي تزعمها (الإمام منصور) و(الإمام شامل)، و(غازي محمد) جاءت المرحلة الثانية التي بدأت من احتلال الروس عشية الثورة البلشفية عام (١٩١٧م) سهول الشيشان والقفقاس ، ففي عام (١٩١٨م) كانت هناك جمهورية مستقلة باسم جمهورية "الجبل المتحدة " وتضم دول شمال القفقاس ولكن مع نهاية (١٩٢١م) انفصلت أقاليم عديدة من الجمهورية [٦] . واستقلت " كاباردا"، كإقليم يتمتع بحكم ذاتي، ثم انتزعت من هذه الجمهورية أراضى " القرتشاى والشركس"، الأمر الذي دفع بمنطقة القفقاس في يناير (١٩٢٣م) بالانفصال هي الأخرى حتى أصبحت جمهورية (الجبل) مقصورة على الشيشان والأنجوش وأوسيتيا الشمالية، وجميعها بعد انهيار الاتحاد السوفيتي القديم أصبحت أقاليم مستقلة، وبعضها دولاً لها الحق في أن تقرر مصيرها بعيدا عن الهيمنة الروسية [٧] .

وفى عام (١٩٣٦م) أصبحت الشيشان جزءاً من الاتحاد السوفيتي السابق وصدر مرسوم (١٩٤٦م) بإلغاء جمهورية الشيشان وطرد وتشريد الشعب في سهول سيبيريا ، بل وتوزيعه علىالمناطق الجبلية فى أواسط آسيا بعد أن فشلت محاولات التصفية والقضاء على الوجود الإسلامي في هذه المنطقة [٨] .

الشيشان بعد السقوط الشيوعي :

تعرض شعب الشيشان خصوصاً، ومسلمو القفقاس عموماً مثل الأنجوش والداغستانيين إلى سلسلة من عمليات الاضطهاد والتشريد على أيدي (ستالين)، ومع ذلك لم يتهاون المجاهدون في الشيشان في أي فترة تاريخية عن المقاومة ضد المستعمر الروسي، فعندما بدأت العمليات العسكرية الروسية بأول عملية إسقاط مظلات لنحو ألف من القوات الروسية في التاسع من نوفمبر (١٩٩١م) قرب مطار "جروزنى" لقيت مقاومة عنيفة أسفرت عن خسائر هائلة في القوات الروسية.

حيث جاءت هذه العملية بعد أن أعلن "جوهر دودابيف " نفسه رئيسا لجمهورية الشيشان في (١٩٩١/١٠/٢٧م، وفى ١٩٩١/١١/١م) أيضا أعلن دودابيف استقلال بلاده عن روسيا، ومن هذا الإعلان وحتى (١٩٩٤/١٢/١١م) ، كانت هناك حربا دعائية إعلامية بين الطرفين الروسي والشيشانى ، ومناورات حربية بينهم لم تكن - وصلت بعد ذلك لمرحلة الحرب- كما استطاعت روسيا أن توجد من بين الشيشانيين جبهة معارضة ضد حكم الرئيس الشيشانى دودابيف، الأمر الذي اتخذه الرئيس الروسي " يلتسين " ذريعة للقضاء على حركة المجاهدين في الشيشان وإلغاء ما يسمى بجمهورية الشيشان المستقلة [٩] .

وكان في تقدير الرئيس الروسي أنه سيدخل"جروزنى" صبيحة رأس السنة على أقصى تقدير، وأن عملية الغزو لن تستمر أكثر من ساعتين، إلا أن الرئيس الروسي لم يضع في اعتباره معنويات حركة المجاهدين وتاريخ هذه المنطقة في المقاومة ضد أية تدخل أجنبي في أراضيها، وفشلت مزاعم "يلتسين" عندما صرح أمام محطات وشبكات وتليفزيونات العالم أن عودة الشيشان لروسيا لن تستغرق أكثر من ساعتين [١٠] .

حيث أمر قواته في (١٩٩٤/١٢/١١م) باحتلال الشيشان واستخدام كل ما تملكه القوات الروسية من طائرات وصواريخ ودبابات للقضاء على حركة التمرد التي تتعرض لها هذه الجمهورية ، واقتحمت الدبابات الروسية الأراضي الشيشانية من الغرب والشمال الغربي والشرق في وقت واحد، بالإضافة إلى وحدات عسكرية خاصة تابعة لوزارة الداخلية وقوات روسية تزيد على (٥٠) ألف جندي تدعمها طائرات حربية ذات كفاءة قتالية عالية ، وفرق من المظلات المدربة تهبط فوق رأسهم [١١] .

وعندما لم تتمكن القوات الروسية من تحقيق أي انتصار على حركة المقاومة التي يتزعمها "جوهر دودابيف" ، لجأت روسيا إلى ضرب القصر الرئاسى الخاص بالرئيس الشيشانى دودابيف، وسعت إلى تجنيد بعض العملاء لها داخل المقاومة الشيشانية لاغتياله- كما فعلت في السابق مع الإمام غازي محمد والإمام شامل والشيخ منصور والشيخ كونتا حاجى كاشف ؛ وعندما فشل الرئيس الروسي في أن يحقق أية نجاحات على المقاومة الشيشانية حتى على المستوى الإعلامى ؛ أمر يلتسين قواته بمحاصرة قرية

(ساماشكى) واستخدام العنف ضد المدنيين بها وتزايد عدد القتلى بينهم لإرهاب عناصر المقاومة وإجبارهم على إلقاء السلاح الذي فى أيديهم.

قام الجنود الروس بممارسة نفس أعمال العنف والوحشية التي مارسها الصرب مع المسلمين في البوسنة والهرسك؛ فقاموا بتجميع (٧) آلاف مدني شيشانى ما بين طفل وشيخ وامرأة، وأعلنوا عن ذبحهم إن لم يسلم المجاهدون أنفسهم وأسلحتهم للقوات الروسية، وعندما لم تستجب حركة المجاهدين للتهديدات الروسية، نفذ الروس تهديدهم، وقاموا باغتصاب الفتيات المسلمات، وبقر بطون الحوامل ، وإلقاء الأطفال تحت جنازير الدبابات مثلما فعلت القوات الشيوعية في السابق مع أطفال مسلمي أذربيجان عام (١٩٨٩م) كما قاموا بالاعتداء على المساجد ودور العبادة، والقيام بتدمير قصر الرئاسة ومبنى وزارة المالية [١٢].

ولعل استهداف الروس لهذين المكانين تحديدا كان يرجع وقتها إلى عدد من الأهداف منها: أن الروس قاموا بمد الشيشانيين بالسلاح في فترة زمنية ليست ببعيدة، إلا أن هذه الأسلحة أصبحت في مجال التقنية العسكرية الحديثة لاتساوى شيئا، وأن المخابرات الروسية كانت تعلم مسبقا بمكان المستندات وتوصلت فيما لديها من معلومات أنها داخل مبنى وزارة المالية، أما تدمير قصر الرئاسة، فيرجع وفق الفهم الروسي إلى أن المقاومة تأخذ أوامرها من " دوداييف " الذي يدير حركة المقاومة من داخله ويكبدهم خسائر فادحة وهو في مكانه، دون أن يخسر شيئا.

ولعل تمسك روسيا بالشيشان رغم خسائرها المتكررة فيها على أيدي حركة المجاهدين على مدار تاريخها الطويل يرجع لعدة أسباب هي:

- أن استقلال الشيشان، يعنى استقلال كل الدول الواقعة في إطار روسيا الاتحادية.
- أن في الشيشان أكبر محطات الكهروذرية التي تمد روسيا ذاتها بالطاقة الكهربية.
- وجود أجود أنواع النفط في أراضى الشيشان، وهو واقع بداية في أيدي المسلمين وهذا يكفل لهم شراء السلاح للانفصال عن روسيا.
- تضم الشيشان شبكة ضخمة من الطرق الممتدة عبر دول روسية عديدة، وهذا ما يؤدى إلى تعرض مصالح روسيا للخطر إذا ما حصلت على استقلالها.

obeikandl.com

- عدم السماح بإقامة دولة إسلامية داخل روسيا، فقد تزايد القلق الروسي بل والأوربي أيضا عندما أعلن "جـــوهر دوداييف" عزمه تطبيق الشريعة الإسلامية في بلاده، واتهمته وسائل الإعلام الروسية بالأصولية والتطرف ، وممارسة العنف ضد الروس .

ومما سبق يتضح أن روسيا باقتحامها الشيشان في أواخر عام (١٩٩٤م) لم يكـــن هدفها تقليم أظفار الرئيس الشيشاني " دوداييف " وخاصة بعد أن رفضت كـــل دول العالم مساندتها في إعلان الاستقلال وحقها في الانفصال عن روسيا، بـــل اســـتهدفت كما تؤكد الأحداث والوقائع تحقيق نوع من استعراض القوة في المنطقة أمام النظـــام العالمي الجديد الذي بدأ يطل برأسه على منطقة بحر قزوين من ناحية، والرغبـــة في أن تسلم كل الدول الواقعة تحت الحكم الذاتي الروسي بالأمر الواقع وتســـتبعد مســـألة الاستقلال من حساباتها من ناحية أخرى، بل إنه لم يكن بحسابات الرئيس "يلتســـين" ولا حتى وزير خارجيته آنذاك " أندريه كوزيريف " أن ما يحدث هو بدايـــة النهايـــة للدب الروسي [١٣] .

فبعد أقل من أربعين يوما من اقتحام (جروزني) زادت خسائر روســـيا بانضـــمام (٤٧) جنرالا روسيا لصفوف المجاهدين الشيشانيين، ومقتل (٣) آلاف جندي روسي من القوات الروسية بما فيهم (قائد عملية الغزو) بالإضافة إلى (١٥٠) ضابطا وقعوا في الأسر وإصابة المئات من الجنود الروس ، مما دفع يلتسين إلى تغيير قادته بعـــد تكـــرار عمليات الاقتحام الفاشلة [١٤] . وعندما أعلن الرأي العام الروســـي اســـتياءه مـــن الحملات العسكرية التي لم تحقق إلا مزيدا من الخسائر علـــى المســـتوى العســـكري والاقتصادي أعلنت وزارة الدفاع الروسية في بيان رسمي بثته وكالات الأنباء الروسية والعالمية، أن قواتها لم تهزم في الشيشان ، بل إن الجيش الروسيّ قتل في شهر تقريبا منذ بداية العمليات العسكرية في ١٩٩٤/١٢/١١م قرابـــة (٢٥٠٠) مســـلح شيشـــاني، ودمرت أكثر من (١٥٠) طائرة و (٢٦) دبابة، واستولت على (٦٣) مدفعا، بجانـــب (١٠٨) مقاتلين شيشانيين وقعوا في الأسرعلى أيدى القوات الروسية.

وأثارت هذه الأرقام الواردة في بيان وزارة الدفاع "سيرجى يوشنكوف" رئيس لجنة الدفاع في البرلمان الروسي (الدوما)، مؤكدا أن هذه الأرقام ليست دقيقة، كما أن حجم

خسائر القوات الروسية أيضا غير دقيق، خصوصا وأن القيادة العسكرية الروسية اعترفت بأن المعلومات التي تقدمها والتي تتعلق بالقتلى الروس الذين تعرفت على أسمائهم فقط قليلة، بينما ظلت مئات الجثث الروسية المحترقة فى الدبابات أو الملقاة فى شوارع جروزنى دون تحديد للأسماء لاختفاء معالمها دون حصر ، بينما لم تزد جملة خسائر الشيشان من المدنيين عن ١٨ ألف مقاتل فقط[١٥] .

وقال "سيرجى يوشنكوف": إن خسائر القوات الروسية فى الشيشان تضخمت لدرجة أنه لم يعد بمقدور وزارة الدفاع الروسية الإعلان عن الأرقام الحقيقية صراحة وأن الخسائر التي تكبدتها روسيا من غزوها للأراضي الشيشانية من شأنها أن تؤثر على المستقبل السياسي لروسيا فى المرحلة القادمة فى حين اعترضت النائبة "ستروب ثالبوت" بمجلس الدوما على تقرير سيرجى قائلة: إنه يجب تخفيف الضغط عن الرئيس الروسي " يلتسين " فى مثل هذه الظروف ويجب على الأعضاء فى المجلس دعمه وليس انتقاده ، وخاصة بعد أن أعلنت قيادة الجيش الروسى عن قيام متطوعين أصوليين من إيران والجزائر وباكستان وأفغانستان قادمين من الأراضي السودانية يعلنون الجهاد الإسلامى ضد الروس والوقوف مع أبناء عقيدتهم من الشيشانيين وأنهم جاؤوا إلى هذه المنطقة لأحد أمرين هما : النصر أو الشهادة ، وأنهم سيدخلون الشيشان عن طريق أذربيجان [١٦] .

الموقف الدولي من أزمة الشيشان :

لم يكن من الطبيعي أن يسكت الروس ولا أن يسكت الغرب عموما على ظهور جمهورية إسلامية مستقلة تطبق الشريعة الإسلامية ، وتؤكد على رفض (الترويس) والتمسك بالثقافة الإسلامية وهى جمهورية الشيشان ، خاصة وأنها تقع فى قلب شمال القفقاس ؛ المنطقة الواقعة ما بين بحر قزوين شرقا والبحر الأسود غربا، هذا بالإضافة إلى أن منطقة القفقاس تعد نقطة التقاء وعبور مشتركة لثلاث قارات هى : آسيا، وإفريقيا، وأوربا ، فمنع قيام دولة إسلامية في الشيشان ليس هدفا لروسيا فحسب، بل هدفا غربيا أيضا ، وإن تعاطفت معها بعض الدول الأوربية نتيجة الممارسات العنيفة التى مارسها الجنود الروس ضد المدنيين فى الشيشان ، خاصة وأن حرب البوسنة والهرسك استهدفت هى الأخرى منع قيام دولة إسلامية وسط أوربا [١٧] .

وقد تخلت معظم دول أوربا عن ادعاءاتها حول الديمقراطية وحقوق الإنسان، وبدا الصمت الأمريكي واضحا فى البداية إزاء التدخل الروسي فى الشيشان وأن ما تقوم به روسيا من تصفية الوجود الإسلامي فى الشيشان وحرمانها من الاستقلال مثل غيرهـــا، هو حق من حقوق روسيا.

أما رد فعل الأمم المتحدة فلم يختلف كثيرا عن موقف الولايات المتحدة أو حتى عن موقفها من أحداث البلقان ، بدعوة الأطراف المتنازعة إلى طاولـــة المفاوضـــات ، وأن الحرب من شأنها أن تزيد من عدد اللاجئين في العالم ، وهذا بطبيعة الحال يثقل عمـــل مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة في عقد التسعينيات [١٨] .

أما الولايات المتحدة فقد أعلن رئيسها "بيل كلينتون" موقف الإدارة الأمريكية من حرب الشيشان بقوله: إن ما يحدث في الشيشان هو أمر داخلي يخص روسيا وحدها، ولا يحق للمجتمع الدولي الوقوف عنده، كما جاء هذا الموقف على لسان وزير الدفاع الأمريكي"وليام بيرى" فى المؤتمر الصحفي الذي عقده بالقاهرة بقوله :"إننا نقر بأن ما يحدث فى الشيشان أمر داخلي ويخص روسيا وإن كنا نشعر بالقلق نتيجة انتـــهاكات حقوق الإنسان فى الشيشان" . أما الموقف الألماني، فقد أعرب عن استيائه لما تقوم بـــه روسيا فى الشيشان، وقامت فى تحد واضح لما تقوم به روسيا بافتتاح سفارة لجمهورية الشيشان وسط مدينه بون.

وقد يعد ذلك اعترافا ضمنيا من ألمانيا باستقلال جمهورية الشيشان، وعلى ما يبدو أن القرار الألماني لم يكن مدفوعا بعامل إنساني نظرا لما يتعرض له المدنيون ، أو حبـــا وتعاطفا مع المسلمين في الشيشان ، ولكن العداوة السابقة بين البلدين هي التي دفعت بها إلى ذلك [١٩] .

كما جاء رد فعل مفوضية اللاجئين التابعة للأمم المتحدة أكثر سلبية مؤكدة أن السلطات الروسية تعرقل جهودها لمساعدة المدنيين الذين يفرون من هول المعارك في المدن والقرى الشيشانية ، وهذا بالضبط ما أكدته المفوضية عقب اقتحام الصرب سراييفو مؤكدة أن القوات الصربية تعوق جهودها ، مع أن طاقم المفوضية كان معظمه من الروس، الأكثر عداوة للمسلمين الأتراك.

كما أصدر المجلس الأوربى بيانا ضم ممثلي الـ (٣٣) دولة الأعضاء في فيينا، الذي وصفه البعض بأنه جاء ضعيفا، حيث دعا المجلس روسيا إلى وقف قتال المدنيين، وفى نفس الوقت طالب مؤتمر شعوب القوقاز الذي عقد في (محج قلعة) العاصمة الداغستانية بوقف الحرب في الشيشان وإلا تحولت القوقاز إلى حرب شاملة [٢٠].

أما مصر فقد جاء رد فعلها إزاء الحرب في الشيشان بعد شهر من التدخل الروسي وجاء على لسان شيخ الأزهر الراحل "جاد الحق على جاد الحق " الذي طالب المسلمين في العالم بمناصرة إخوانهم في الشيشان؛ معلنا الجهاد الإسلامي ضد الروس، ثم جاء بعد ذلك تصريح الخارجية المصرية الذي طالبت فيه مصر على لسان وزير الخارجية وقتها "عمرو موسى " وقف أعمال العنف في الشيشان والاحتكام للأمم المتحدة والمفاوضات.

وجاء موقف منظمة المؤتمر الإسلامي معبرا عن قلقها الشديد من حالة التصعيد ضد المسلمين في العالم، ودعت الأطراف إلى إيجاد حل تفاوضي بين البلدين، وأكد أمين عام المنظمة " حامد العابد " آنذاك على ضرورة حل النزاع بالمفاوضات بعيدا عن أعمال العنف.

أما تركيا- التي تتمتع بتاريخ ممتد في هذه المنطقة- فقد كانت أكثر حرصا عند إعلان موقفها في حرب الشيشان وعبرت عن موقفها إزاء الأحداث العنيفة في القفقاس، واعتبرت أن مساندتها للشيشان من شأنه أن بغضب روسيا المؤيدة لحزب العمال الكردستاني ، خاصة وأنها تملك أدوات هذا الصراع ، وأسرع "كهاد منتشه " وزير الداخلية التركي وأعلن اهتمام بلاده بشراء المزيد من الأسلحة من روسيا، ولعل تركيا بهذه الصفقة تكون قد كشفت عن مصالحها الحقيقية إزاء ما يحدث للمسلمين في الشيشان ، الأتراك منهم وغير الأتراك ، مقابل أن تتخلى روسيا عن دعمها لحزب العمال الكردستاني الذي يتزعمه " عبد الله أوجلان " في عملياته العسكرية ضد القوات التركية [٢١].

ومن هنا يتضح أن حرب الشيشان لم يكن لها أن تهدأ، إلا بالمقاومة العنيفة التي قام بها المجاهدون الشيشانيون، رغم اغتيال زعيم الحركة ورئيس الدولة " دوداييف " وهذا

ما يؤكد حقيقة مهمة، وهى أن الصراع الأزلى بين روسيا وشعب الشيشان كان يتسم بالطابع الديني والروحي على طول الخط، ووجود زعامة دينية تحفز على صد العدوان والدفاع عن الأرض كان من أساسيات العمليات الجهادية، فقديماً كان الشيخ منصور، والإمام شامل ، وغازي محمد وكونتا حاجى وأخيراً كان "جوهر دوداييف" ، الذي كبَّد الروس خسائر في القوات والعتاد العسكري ليس لها حدود ، ودافع عن وطنه بكل شجاعة ، مثل من سبقوه على طريق المقاومة ضد الروس .

وقد هدأت الحرب بعد اتفاق روسي شيشانى مع تبادل الأسرى بين البلدين وأن يصبح من حق الشيشانيين الاستقلال بدولتهم في استفتاء يعقد في عام (٢٠٠١م) وهذا لم يحدث .

الحرب الثانية بين روسيا والشيشان :

أثار تفجر الصراع في شمال القفقاس بين القوات الروسية وقوات الشيشان إحدى جمهوريات الاتحاد الروسي للمرة الثانية في أقل من خمس سنوات علامات استفهام عديدة حول الأسباب الحقيقية التي دفعت القوات الروسية للإغارة على الشيشان من جديد بعد أن هدأت الأوضاع بين الجانبين باتفاقية تنص على تأجيل التفاوض بشأن الاستقلال إلى عام (٢٠٠١م)، وقد أشارت الإحصائيات أن حرب الشيشان الأولى والتي تفجرت ما بين (١٩٩٤ — ١٩٩٦م) قد خلفت وراءها ما يزيد على (٨٠) ألف قتيل وانتهت باتفاقية أغسطس (١٩٩٦م) .

إلا أن القوات الروسية لم تنتظر إلى (٢٠٠١م) بل قامت في (١٩٩٩/٨/٢٤م) بإعادة الهجوم على مواقع المجاهدين الشيشان فى محاولة جديدة لاقتحام جروزني العاصمة الشيشانية . خاصة في أعقاب المساعدات التي قدمتها الشيشان للشعب الداغستاني ، حيث قامت الشيشان بإرسال كتائب من المجاهدين لمقاومة الغزو الروسي وتحرير داغستان من السيطرة الروسية، كما أشار "شامل باساييف" أبرز قادة المقاومة الشيشانية أن هدف الشيشان هو توحيد شمال القفقاس في دولة إسلامية واحدة وهذا ما ترفضه روسيا، وواصلت شن هجماتها مستهدفة تدمير المنشآت الداغستانية لتأديب المجاهدين.

ولعل قادة الشيشان قد استهدفوا من وراء المساعدات التي قدمتها للمقاومة الإسلامية في داغستان شيئين:

- أن يتم ضم داغستان وأنجوشيا وبعض الدول الصغيرة الأخرى إلى الشيشان.
- أن يتم هذا الضم بصورة سريعة وقبل عام (٢٠٠١م) وقبل أن تدخل الشيشان مع الروس فى مفاوضات بشأن الاستقلال.

وإزاء هذه الخطة التي لم يعلن عنها صراحة أصاب الروس قلق شديد من تدخل المجاهدين الشيشان للدفاع عن داغستان الذين قاموا بدعوة المسلمين في القفقاس إلى أصولهم وهويتهم الإسلامية،ومنابع الدين الحق ثم جاءت رحلة تدريب مجموعة من الشباب فى المعسكرات الشيشانية لتأخذ الشكل العملي للخطة التى كان ينوي الشيشانيون القيام بها،ورفع الداغستانيون راية الجهاد ضد القوات الروسية،وبالتالي تشمل المقاومة داغستان من ناحية، والشيشانيين من ناحية أخرى [٢٢] .

ومن هنا لم تتردد روسيا فى أن تنسب إلى القيادة الشيشانية عمليات التفجير التى حدثت فى شوارع العاصمة موسكو في ١٣،٩ سبتمبر و ٣١ أغسطس وثلاثة تفجيرات أخرى فى داغستان عام١٩٩٩،ثم عملية المسرح الروسي التى نسبت جميعها إلى المجاهدين الشيشان،وصرح وزير الداخلية الروسى"فلاديمير روشيلو" أنه: "للمرة الأولى فى تاريخ روسيا تستطيع مجموعة من المجرمين من بسط سيطرتهم على واحدة من الجمهوريات الفيدرالية. وتتمكن بمساعدة قوى خارجية من ممارسة أنشطة تخريبية داخل العاصمة الروسية موسكو" .

ولعل هناك عددا من الأسباب هي التي دفعت القوات الروسية لنقل الصراع داخل الشيشان قبل أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) منها [٢٣] :

استقالة رئيس روسيا"يلتسين"واعتزاله منصبه والحياة السياسة عموما بسبب المرض؛ انتخابات البرلمان والتى جرت فى(١٩/١٢/١٩٩٩م).وانتخابات الرئاسة الروسية وتصويت الناخبين لصالح "فلاديمير بوتين" لتصل نسبة التصويت له حوالى (٣٩%) مقابل (١٢%) فقط لصالح "زيجانوف" الزعيم الشيوعي السابق الذى يطالب في برنامجه الانتخابي بإعادة الاتحاد السوفيتي القديم إلى ما كان عليه فى الماضي.

موقف العالم من حرب الشيشان الثانية:

جاء أول رد فعل دولي حول هذا الصراع بعد شهرين من اندلاع النيران بين الجانبين، ففي (١٩/١١/١٩٩٩م) ومع ختام أعمال منظمة الأمن والتعاون الأوربي قام ممثلون عن (٥٤) دولة من بينها الولايات المتحدة وروسيا بالتوقيع على ميثاق للأمن الأوربي يدعو إلى إقرار مبدأ أن الصراعات التي تحدث داخل الدولة الواحدة أمر يهم كل الدول، وبالتالي فإن ما يحدث في الشيشان ليس مشكلة داخلية تخص روسيا وحدها بل كل دول العالم، في الوقت ذاته قامت منظمة المؤتمر الإسلامي المعنية بهذه القضايا-ذات الطابع الإسلامى- ببحث الوسائل التي تستطيع من خلالها تقديم المساعدات الإنسانية للاجئين الشيشان .

إلا أن الوضع تغير تماما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر،والحرب التي أعلنتها أمريكا على الإرهاب،و لم يعد هناك أى قدر من التعاطف تجاه حقوق الشعب الشيشانى، فمـــا زالت روسيا تشن هجومها على مواقع للمجاهدين في الشيشان وعلى المدنيين العزل ، وما زالت الصحافة العربية تتمســـك بوصف من يدافعون عن وطنهم- في القفقاس - بأنهم مجموعة من المقاتلين والمتمردين ، والانفصاليين ، وذلك ربما نظراً للعلاقات السياسية والاقتصادية التي تربط بين روسيا والدول العربية والإسلامية في مختلف المجالات.

كما أصبحت حركة المقاومة الإسلامية التي يقوم بها الشعب الشيشانى في موضع الاتهام من منطلق أنها من الحركات التي تؤمن بسياسة العنف والاغتيالات، واعتبار أن هذه الحركات تلقت دعما وتمويلا من السعودي المنشق أسامة بن لادن، المتهم بأنه وراء الاعتداءات الأخيرة على الولايات المتحدة أو ما عرفت إعلاميا بأحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م) ، وكان من المنتظر حسب الاتفاق الروسى الشيشانى حصول الشيشان على استقلالها التام عن روسيا مع نهاية عام (٢٠٠١م) ، إلا أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر جاءت فرصة لم تكن متوقعة لروسيا لسحب وعودها السابقة والمتعلقة باستقلال الشيشان عن روسيا ، وأن تقرر مصيرها بعيدا عنها ، وخاصة وأن العالم كله أعلن الحرب على الإرهاب ، كما أسرعت روسيا في نفس اليوم الذي وقعت فية التفجيرات الأمريكية وأعلنت أن روسيا تلاقى نفس المصير من المتمردين الإسلاميين في الشيشان، كما أشارت إلى أن الشعب الشيشانى نفسه لا يرغب في وجود هؤلاء

المتطرفين على أرضه ، وأن على العالم أن يسعى جاهدا لتصفية هذه الخلايا الإرهابية من دول الشرق الأوسط، وبالتالي كانت أحداث الحادي عشر من سبتمبر صدمة للشعب الشيشانى قبل أن تتخذها الولايات المتحدة وروسيا ذريعة لإعلان الحرب على الأقليات والأغلبيات الإسلامية في العالم كله.

obeikandl.com

ثانياً: الوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية في أبخازيا

تقع أبخازيا في إطار جمهورية جورجيا التي تشغل السفوح الجنوبية الغربية لجبال القفقاس، وسكانها (٥,٢٩٧) مليون ، أما القوميات داخل جورجيا فهي (٧٧%) من الجورجان (٩%) من الروس (١٤%) من الأذر والأرمن والأبخاز.

وقد دخل الإسلام أبخاريا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وزاد انتشاره في العهدين الأموي والعباسي ، أما عدد المسلمين في جورجيا فيزيد على (٧٩٤ ألف مسلم) بنسبة إجمالية (١٥%) وينتشر الإسلام في الجمهوريات التابعة لها، والتي تخضع للحكم الذاتي وهي أبخازيا، ومنطقة أجاريا، أوسيتيا الجنوبية[٢٤] .

وعند الوقوف على الوضع السياسي والاجتماعي في المنطقة، يتضح أن الصراع الجورجى الأبخازى قائم على أساس ديني ، فجورجيا دولة مسيحية سياسياً ومذهبياً، وتضم بداخلها إقليم يتمتع بالحكم الذاتي وهو إقليم أبخازيا ، الذي تدخل معه في صراعات عنيفة لرغبته في الاستقلال ، ليصبح كياناً خاصاً ، بدلاً من تبعيته لدولة مسيحية ، وهو إقليم غالبيته من المسلمين ، إلا أن جورجيا لا ترغب في أن تحقق لمسلمي أبخازيا ذلك ؛ لأن معنى هذا أن يستقل أيضاً إقليم أجاريا، وأوسيتيا الجنوبية، فكلاهما يقعان تحت الحكم الذاتي الجورجى.

ومنذ خريف (١٩٩٢م) ، ومنطقة أبخازيا مشتعلة بالحرب بين جورجيا المسيحية وأبخازيا، التي ترغب في الاستقلال التام عن جورجيا، حيث بلغت جملة الخسائرالمادية بين الطرفين بمعدل (٧٥٠) ألف دولار شهرياً و(٢٥٠) ألف قتيل في عام (١٩٩٢-١٩٩٣م) هذا في الوقت الذي صرح فيه وزير الدفاع الجورجى (كاراكراشفيلى) بأن جورجيا تمتلك جيشاً يشبه في تنظيمه جيش إسرائيل، ويشبه في قوته الجيش الروسي، مشيراً إلى القوة وامتلاك تكنولوجيا الحرب[٢٥].

وتشير المصادر التاريخية أن المسلمين الأبخاز، هم أحفاد السكان القدامى للقفقاس الذين عاشوا على سواحل البحر الأسود، وتنتمي هذه الأمة إلى الجنس البلقاني القوقازي، الذين تعود أصولهم إلى الجنس الهند أوربي الأكبر، وقد ورد ذكر أسلاف

الأبخاز في العصر البرونزي المتأخر، كما تكون الشعب الأبخازى بشكل أساسي في القرن الثامن الميلادي عندما قام القائد الأبخازى (ليون الثاني) بتحرير الإبخاز من نير السلطة البيزنطينية، ثم جمع في يديه مقاليد السلطة لتشمل معظم أجزاء جورجيا الغربية تحت اسم " القيصرية الأبخازية " إلا أنه وفيما بعد أصبح تاريخ أبخازيا مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتاريخ جورجيا (٢٦).

وفى القرن العاشر الميلادى أصبحت أراضى أبخازيا جزءاً من دولة جورجيا، وظل التأثير الجورجى مسيطراً على أبخاريا، وفى الفترة ما بين القرنين (١٦و١٧) استطاعت أن تحصل على استقلالها من جورجيا، بل أصبحت تبعية كل من (أبخاريا وجورجيا) للإمبراطورية العثمانية، وهذا عندما كان الدين الإسلامي في هذه الفترة هو دين الأغلبية وكانوا يتبعون المذهب السني.

وبمجرد أن فقدت الدولة العثمانية قوتها في المنطقة، انضمت أبخازيا إلى روسيا بناء على معاهدة بين الدولتين عام (١٨١٠م)،ومنذ ذاك التاريخ واهتمام الكنيسة الأرثوذكسية الروسية بأبخازيا يتزايد، وراحت الكنيسة تسعى لبعث المسيحية في هذه المنطقة من جديد، مما أثار غضب الأبخاز المسلمين ووقعت مصادمات عنيفة بين الطرفين، كان أساسها العامل العقائدي.

وفى فبراير (١٩٣١م) حصلت أبخازيا على صفة جمهورية ذات حكم ذاتي تابعة لجمهورية جورجيا الاشتراكية السوفيتية (٢٧)، ومع تطورات الأحداث في أبخاريا في فترة التسعينيات، وبعد سقوط الاتحاد السوفيتي السابق، تطالب أبخازيا بالانضمام إلى روسيا والعودة إلى اتفاقية (١٨١٠م) التي سبق وأن عقدها الطرفان، فالأبخاز يفضلون الانضمام لروسيا، بدلاً من أن يصبحوا دولة مستقلة تتبع جورجيا، حيث إن روسيا ومن وجهة نظر الأبخاز لا تستخدم العامل الديني كورقة ضغط على الأقليات التي تحت يديها، بينما معظم سكان جورجيا مسيحيون متعصبون للمسيحية ولا يقبلون الآخر معهم على أرض واحدة.

إلا أن موسكو كانت تؤيد دائماً موقف جورجيا في المسألة الأبخازية، وإن كانت تدرج حركات الاستقلال الذاتي في قائمة الحركات القومية، بينما يقف الناطقون باللغة الروسية كحلفاء للأبخاز في سعيهم لعقد اتحاد فيدرالي مع روسيا.

وفى اجتماع ضم وفدى حكومتي روسيا وأبخازيا الذي جرت وقائعه في (مايكوب) عاصمة (أديجيا) بشأن تسوية الصراع الجورجى الأبخازى طرح (بوريس باستوخوف) رئيس الوفد الروسي اقتراحاً يقضى بانسحاب القوات الجورجية من أراضى أبخازيا، وقد لقيت هذه المبادرة تأييداً من جانب (فلاديمير أردزينيا) زعيم الجانب الأبخازى الذي أعلن أن بدء المباحثات ووقف إطلاق النار يمكن الشروع فيهما فقط، بعد أن تشرع قوات جورجيا في الانسحاب من أراضى أبخازيا [٢٨].

وقد رفض الجانب الجورجى أن يناقش أية شروط مسبقة، وعلى العكس من ذلك قامت القوات الجورجية بقصف مدفعي على " نوفى أفون ، جواندرا ، أشير " وقد أحدث ذلك خسائر للقوات الروسية المرابطة في هذه المناطق وخاصة معامل قياس الهزات الأرضية .

والملاحظ أن الصراع الجورجى الأبخازى صراع لا يتوقف، ويتجدد بين الحين والآخر، ولا يتخذ شكلاً واحداً فى قيامه بل أشكالاً وصوراً عديدة، ويعد عامل الدين أبرز وقود قابل للاشتعال في المنطقة بين المسيحية والإسلام في أي لحظة، أما الوضع في أبخازيا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر فلم يختلف كثيرا عن المرحلة التي سبقته، فالصراع ما يزال قائما، ولكن بسياسة ما بعد أحداث سبتمبر حيث تغض المنظمات الدولية الطرف عما تقوم به جورجيا ضد مسلمي أبخازيا، كما أن الولايات المتحدة ذاتها لم تعد تعطى هذه البقع الصغيرة من العالم أية اهتمام، وبالتالي فإن القوات الجورجية ماتزال تقتحم بيوت المسلمين وتقتل ما بداخلها، ولا يتحدث عن ذلك أحد بالشجب أو بالاستنكار، وأن على الحكومة الجورجية فقط أن تقول بأن هؤلاء الذين تطاردهم وتسعى للقضاء عليهم هم عناصر من تنظيم القاعدة أو من الجماعات الإرهابية التي تسعى الإدارة الأمريكية إلى تعقبهم والقضاء عليهم .

ثالثاً: الوضع السياسي والاجتماعي للأقليات الإسلامية

إقليم ناجورنو كاراباخ

تعنى كلمة أذرى جماعات شتى لها خصائص السلالة المشتركة، وأطلق الاسم على أذربيجان عندما أعلنت العناصر الوطنية استقلالها في (١٩١٨ م)، ويمثل الأذريون (٨) مليون نسمة موزعين كالتالي (٥) في الاتحاد السوفيتي السابق و (٣) في إيران، وتأسست أذربيجان عام (١٩٢٠م) ، ثم اتحدت مع جمهورية روسيا خلال الفترة من عام (١٩٢٢م- ١٩٣٦م) إلى أن أصبحت جمهورية اتحادية في نطاق الاتحاد السوفيتي عام (١٩٣٦م) [٢٩] .

وتدخل أذربيجان وأرمينيا في صراع حول إقليم (كاراباخ)، والذي يعتبر مقاطعة ذات حكم ذاتي، وفق التعريف الدستوري للاتحاد السوفيتي السابق، وهذه المقاطعة الجبلية التي تبلغ مساحتها (١٧٠٠) ميل مربع تقع بأكملها داخل جمهورية أذربيجان ، ويبلغ عدد سكان الإقليم أو المقاطعة حوالي (٢٠٠) ألف نسمة ويمثل الأرمن غالبيتهم حيث تبلغ نسبتهم (٧٦%) وتعد (ستينكارت) هي العاصمة الفعلية للإقليم، وحول الإقليم خاضت أذربيجان حروباً عنيفة مع أرمينيا في محاولات عديدة حتى تعيد الإقليم إليها [٣٠]، وتشير الدلائل أن النزاع بين أرمينيا وأذربيجان يمكن أن يؤدى إلى حروب دينية في منطقة القفقاس، الأمر الذي ينعكس بدوره على العلاقات بين تركيا وروسيا من ناحية وبين تركيا والغرب من ناحية أخرى.

فأرمينيا دولة من حيث العقيدة تدين بالمسيحية، وتحظى بمساندة قوية من روسيا التي تطالب بالإبقاء على الوضع السابق للإقليم بل واعتبار الإقليم تابعاً للأراضي الأرمينية، بينما أعلنت الولايات المتحدة إزاء تفكك الاتحاد السوفيتي السابق، الاعتراف بأذربيجان عندما أعلنت عن استقلالها في بداية التسعينيات [٣١] ، كما أسرعت الأمم المتحدة والمجموعة الأوربية بالاعتراف بحق أذربيجان في الانفصال والاستقلال بينما الدول الإسلامية ترددت طويلاً، وظلت تراقب الوضع في أذربيجان وأعلنت اعترافها بعد شهور عديدة دون الإشارة إلى ذكر الإقليم المتنازع عليه بين أرمينيا وأذربيجان وهو (كاراباخ).

obeikandi.com

كما قامت روسيا وأرمينيا بالرد معاً في ١٩ يناير(١٩٩٠م) على انتفاضة أذربيجان بسحق الانتفاضة في " باكو " بالجيش، وأعلن الجيش الروسي أن الجبهة الشعبية كانت تستهدف قلب السلطة السوفيتية وانفصال أذربيجان، وتكوين دولة أذربيجان الإسلامية الموحدة ، ورد مفتي أذربيجان على الرئيس السوفيتي " جورباتشوف " قائلاً له :" إن هدفكم الوقيعة بين المسلمين والمسيحيين ورصاصتك قتلت آخر الآمال في البيروسترويكا [٣٢] .

ومع تصاعد المد الإسلامي - الذي أعلن عن نفسه في أداء مليون ونصف المليون صلاة الجنازة على أرواح شهداء (باكو) أمام مقبرة الشهداء خلف إمام الشجعان "مولاي الله شكور زاده " رئيس المجلس الديني، زاد الصراع الديني بين الطرفين .

وتبدأ قصة الصراع بين الأرمن والأذر حول إقليم (كاراباخ) منذ ١٩٢٣/٧/٢٤م ، عندما أصدر الحزب الشيوعي قراراً بضم (كاراباخ) إلى أذربيجان، إلا أنه وفى ٢٠ فبراير (١٩٨٨م) طالب نواب مجلس الإقليم بضم كاراباخ للأرمن وصدق البرلمان على القرار في ١٩٨٨/٦/١٥م ، في الوقت نفسه صوت برلمان أذربيجان بالأغلبية الساحقة بعدم ضم الإقليم إلى أرمينيا وذلك في ١٩٨٨/٦/١٧م، وأدت هذه الأحداث بين الطرفين إلى وضع الإقليم تحت إشراف المجلس الأعلى للاتحاد السوفيتي وذلك بقرار في ١٩٨٩/١/١٥م ، ومع مطلع التسعينيات تجددت الاشتباكات بين الجانبين ،واستمر الصراع دون تسوية حتى الآن [٣٣].

وغالباً ما يظهر الصراع بين الجانبين ويأخذ الصورة الدينية، وتتدخل المنظمات الدولية لإيقاف هذا الصراع عندما تظهر معالمه دون أن تكون هناك حلول فعلية لإنهاء الصراع بين البلدين، وحل مشكلة إقليم ناجورنوكاراباخ، وزاد الوضع سوءا في الإقليم بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر بالولايات المتحدة الأمريكية، مع أن الوضع لم يتأثر كثيراً بالحدث إلا أنه دفع العديد من أحزاب وقوى المعارضة إلى أن توقف من مطالبها بانفصال الإقليم ، وخاصة في ظل الحرب التي تشنها الولايات المتحدة على الإرهاب في منطقة آسيا الوسطي وبلاد ما وراء النهر.

هوامش الفصل السادس

(١) السيد حسن جلال : تاريخ الشعوب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٣ .

(٢) أحمد رائف : الملاحة في بحار النار، مرجع سابق، ص١٨ .

(٣) الشيشان (مجلة المختار الإسلامى، العدد ١٤٦، مارس ١٩٩٥م) ص٥٣ .

(٤) مصطفى كسبة : الشيشان (مجلة الأزهر، عدد ذي القعدة ١٤١٥هـ) ص٤٤ .

(٥) الشيشان، مرجع سابق ، ص٨٩ .

(٦) الشيشان،مجلة المختار الإسلامى،مرجع سابق ،ص٥٤ .

(٧) محمود أبو العلا: المسلمون في الاتحاد السوفيتي (القاهرة ، الأنجلو ، ١٩٩٣م) ص٣٩ .

(٨) أحمد رائف: الملاحة في بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٥٤.

(٩) جلال الماشطة : الشيشان تحترق (الحياة اللندنية عدد١/١٢/١٩٩٤م) ص٤ .

(١٠) أحمد رائف : الملاحة فى بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٥٨ .

(١١) جلال الماشطة : الشيشان (الحياة اللندنية : عدد١/١٢/١٩٩٤م) ص٧ .

(١٢) أحمد رائف : الملاحة فى بحار النار، مرجع سابق ، ص٢٥٨ .

(١٣) الشيشان، مرجع سابق ، ص١٢٨ .

(١٤) محمد جمال عرفة : الشيشان (جريدة الشعب عدد٢٠/١/١٩٩٥م) ص١٢ .

(١٥) عبد الله حسن : ضحايا الغزو الروسي في الشيشان (لندن : جريدة المسلمون فى ٢٠/١٠/١٩٩٥م) ص١ .

(١٦) جلال الماشطة : جريدة الحياة اللندنية :عدد ٨ /١/١٩٩٥م) ص٤.

(١٧) الشيشان عطر الإيمان (المختار الإسلامى: عدد مارس ١٩٩٥م) ص٥٦ .

(١٨) الشيشان (مجلة شمس الإسلام، عدد أبريل ١٩٩٥م).

(١٩) إسكندر الديك : الشيشان إلى أين (الحياة اللندنية :عدد ١٤/١/١٩٩٥م) .

(٢٠) مأساة الشيشان (الحياة اللندنية: عدد ١٨/١/١٩٩٥م) .

(٢١) الحرب في القوقاز، جريدة الحياة: عدد ١٥ /١/١٩٩٥م) .

obeikandl.com

(٢٢) أحمد ناجى قميحة : الصـــراع في شمال القوقاز (القاهرة : الأهـــرام ، السياسة الدولية، العدد١٣٩ ، يناير ٢٠٠٠م) ص١٧٠ .

(٢٣) القفقاس بعد أحداث سبتمبر (إسلام أون لاين نت ٢٠٠٢م) .

(٢٤) الحرب في أبخازيا (أزفستيا الروسية: عدد٢١/٥/١٩٩٣م) ص٦.

(٢٥) أبخازيا (جريدة نيزافيسمايا جازيتا: عدد٢٨/٥/١٩٩٣م) ص٥ .

(٢٦) أبخازيا (الموسوعة السوفيتية) موسكو : دار التقدم ١٩٩٥م) ص ٩٨.

(٢٧) أبخازيا (جريدة أزفيستيا عدد٢١/٤/١٩٩٣م) ص٤ .

(٢٨) الحرب على أبخازيا (جريدة أزفيستيا عدد٢١/٥/١٩٩٣م) ص٤ .

(٢٩) باكينام الشرقاوى: الحركة الإسلامية في إيران (مركز البحوث والدراسات السياسية ، جامعة القاهرة ١٩٩٦ م) ص٢٥ .

(٣٠) عادل الفلاح : أذربيجان (القاهرة : الزهراء للإعلام العربى ، لجنة مسلمي آسيا ، الكويت ١٩٩٥م) ص١٢ .

(٣١) سوسن حسين : الإسلام في روسيا (مالطا : مستقبل العالم الإسلامى، العدد الخامس ١٩٩٢م) ص٨٧ .

(٣٢) رضوان السيد : ناجورنوكاراباخ (مستقبل العالم الإسلامى، العدد الخامس ١٩٩٢م) ص٢٥٥ .

(٣٣) محمد جلال كشك : المسلمون الروس (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي ١٩٩٣م) ص١٢ .

obeikandl.com